

فكاهات

جزاء الخيانة (١)

كانت بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة لها يقال الحضر وكان فيها ملك من الجرامة يقال له الساطرون وتسميه العرب الضيزن وكان قدمك الجزيرة وكثر جنده واصبح معه من قبائل قضاة ما لا يحصى عدده وامتد ملكه حتى بلغ الشأم

واتفق مرة ان الملك سابور ملك الفرس كان متغيباً في غزوة له بنواحي خراسان فزين الطمع للضيزن ان يزحف على بلاده فركب في جيش كثيف ودخل بلاده قتل وغنم واسر اختاً لسابور وفتح مدينة نهر شير وقتك باهله ثم عاد ظافراً مسروراً بما اصاب من الغنائم

ولم يكن للضيزن من الاولاد سوى بنت بارعة الجمال تدعى النضيرة فكان يميزها اعزازاً شديداً ويحرص عليها حرصه على روحه ويبدل كل ما في طوقه لراحتها ورفاهيتها . فستبت الفتاة داخل حجابها على السداجة والدلان تتارك الطبيعة في بهجتها والطيور في تعريدها ولا تعرف من الدنيا سوى اتقان زينتها ووجوب الطاعة لابيها والامتثال لاوامره

وكان فؤاد الملك يخفق شوقاً وحناناً كلما اقترب من مدينته وتمثل قرب اجتماعه بقلده كبده وحشاشة نفسه التي لم يشغله عن ذكرها نصر ولا مغنم ولما دنا من سور المدينة امر بان ترقع الطبول تبشيراً بعودته وللحال خرج الناس زرافات للملاقاة وعلامت السرور بادية على وجوههم ولم تقع اعينهم على موكب الملك حتى انطلقت منهم اصوات الترحيب بقدومه والدعاء بدوام نصرته

(١) رواية تاريخية عربية الاصل بقلم السيدة ليبة هاشم

الضياء

(٦٢٣٣)

وسمعت الفتاة اصوات الطبول وهتاف الجماهير وكان القصر الذي جعله الملك
اسكنها مع باقي نساءه خارج المدينة قريبا من باب السور الكبير فعلمت بـرجوع
والدها فاستفزها الفرح لمشاهدته واسرعت الى بعض شرفات القصر فرأته قادمًا في
طلية جيشه كأنه القمر في سماءه فطفح قلبها سرورًا وبدرت من عينيها دموعان كالدر
النضيد . ثم انحدرت لملاقاته عند باب القصر وتبعته نساء البلاط وسائر الخاديات
وقد علت بينهن اصوات الزجل وهتاف السرور ولم يكن الا القليل حتى اقبل والدها
فألقت بنفسها على صدره وتعاقتا طويلاً

* *

ومضى على ذلك ايام كان فيها ملك الحضر وقومه متمتعين بلذة النصر مترنحين
بخمرة الفوز لا يحسب احد منهم ما للدهر من الغدرات وما لغدره من الحسرات
ولما كان بعض الايام هب الناس من رقادهم مذعورين اذ سمعوا ضوضاء الجنود
وصهيل الخيول وققعة السلاح حول سور مدينتهم فهرعوا الى الاسواق يتساءلون عن
الخبر وقد عم الخوف في المدينة واستطار الرعب في القلوب . وذلك ان سابور بعد
ان عاد من خراسان وأخبر بما كان من الضيزن هاج وماج وبلغ الخنق منه مبلغه
فجمع جيشه وشخص اليه حتى اناخ على حصنه

وكان من عادة النضيرة ان تحضر اليها وصائفها كل صباح فيصلحن من شأنها
ويعاونها على اتمام زينتها ولكنها في ذلك اليوم لم تر احداً منهن فنادتهن واحدة
بعد اخرى فلم يكن من يجيب واخيراً اطلت من خدرها فرأت نساء البلاط جميعاً
يتراكن من مذعورات نحو الباب ودلائل الخوف والارتعاد باقية على وجوههن .
فارتاعت لهذا المشهد وسارت في اثرهن تستطلع الخبر وهي ذاهلة عن حالتها فلم
يكن ما يستر جسدها سوى رداء من النسيج الرقيق اشبه بسحابة صيف تغشى سنى
القمر وشعرها الحالك الناعم المنسدل على كتفها يمثل قمام الطبيعة وعبوسها
ولم تتوسط باحة القصر حتى سمعت الضوضاء في الخارج فأسرعت الى الشرفة
التي ابصرت منها اباه مقبلاً منذ امدٍ غير بعيد تخفق فوق رأسه رايات النصر

والفوز فرأت جماهير الاعداء وقد احاطت بالمدينة احاطة السوار بالمعصم
فجمد الدم في عروقها وتجلب العرق البارد من حينها ولبثت جامدة كتمثال من
رخام وقد صفا لون وجهها جزعاً فبدت معاني الغم والقلق في ملامحها فزادت جمالاً بل
جعلتها تفوق آلهة الجمال رقةً ودلالاً بحيث تجعل الناظر اليها لا يتمالك ان تذوب
نفسه لوعةً وتأسفاً على تينك العينين السوداوين ان تغشاهما دموع الخوف والحزن.
ثم امالت وجهها عن صفوف الاعداء فزحزحت تلك الحركة افاعي شعرها التي كانت
تزيد ربح قوامها طولاً فبدا من تحتها عنقٌ هو العاج لولا انه أكثر غضاضةً ولينا وقد
خط الجمال على وجهها « سطرًا لمخضه سجان من خلق » . فنظرت على مسافة قريبة
من السور فرقةً من الجند قد انفردت عن المعسكر واقتربت من السور كأنها تفقد
ثغوره وتستطلع مداخله وكان بينهم فارس يمتاز عن باقي اصحابه بحسن الطلعة وجمال
التركيب ولطف الابتسام مع المهابة والجلال فحانت منه التفاتة نحو النصيرة فاشتبك
النظران وتجردت سيوف اللحاظ فصادفت قلوباً معرضة لمضارها فما لبثت ان اسالت
منها الدماء فظهرت آثارها على الوججات بما اخجل الورد وجعله يتمنى لو يعود الى
اكمامه . واحست الفتاة بالغبلة فاطرقت حياءً ثم نفرت نفور الظبي من امامه
وخلفته صريعاً وهي قائله تأملوا كيف فعل الظبي بالاسد

*
* *

ومن ذلك الحين لم يعد الفارس يفارق ذلك المكان بل كان يتردد اليه من
وقت الى آخر طمعاً في مشاهدة تلك الفتاة الفتانة . ولما كان اليوم الثاني وقد دنا
الوقت الذي ظهرت فيه بالامس كان يراقب النافذة من الموقف نفسه وقد امتطى
اجود الخيل واحاط به الحرس بما لم يبق مجالاً للريب في كونه الملك فلم يلبث ان
رأى ستار النافذة يزاح عنها برشاقة ثم ظهرت ضالته وكانت مرتدية اجمل اللباس
ومتخيلة بأبهى زينة وكان يظهر من حركاتها وسكناتها ومجمل هيئتها ان فيها عاطفة
جديدة من الهيام تجهد في اخفائها . ثم جعلت تنظر الى هنا وهناك كمن يبحث عن
شيء يعهده في تلك الناحية فما لبثت ان رآته وهو على تلك الحال من الشوق

الضياء

(٢٨٥)

والانتظار فحقيق فوادها وتوردت وجنتها غير ان ذلك لم يمنحها من مبادلتها الابتسام
ثم ذهبت من حيث أتت بعد ان طال وقوفها عن الامس
وهكذا توالى الايام وتعددت المواجهات حتى لم يعد احدهما يطيق صبراً
عن مشاهدة الآخر

وكانت النضيرة اذا ابصرت حبيبها غابت عنها مظاهر العالم اجمع فلا ترى
سوى انوار طلعت بازعة على فوادها الخالي فتملاًه غبطة وهناء ولكنها حين تخلو
بنفسها تتغلب عليها مفاعيل الحزن والاسف اذ تذكر ان من تحبه هو عدو ابيا
وغريم مملكتها فترى نفسها في حيرة بين الاخلاص لوالدها أو الخضوع لسلطان
المهوى وعلى ذلك حلت الهواجس منها مكان دعة النفس وخلو البال فأخلدت الى
العزلة والتفكير ولم يكن لها من مؤنس غير الدمع ولا من رفيق سوى الزفرات
وبينا كانت يوماً جالسة في خدرها مسندة رأسها الى ساعدها الجميل وعيناها
شاخصتان وقد ارتسمت عليهما علائم الدهول والنعم ورُصع ورد خديها بلؤلؤتين
من الدمع اشبه بندق الصباح وابدى الخوان ثغرها عن صفين من الدرّ النضيد يقضم
بعضهما بعضاً كأنهما يودّان ان يفتديا رقة ذاتها بصلاية ذاتها اذ دخلت احدى
وصائفها واسمها هند وحين رأت سيدتها على تلك الحال وقفت مبهوتة لا تجسر على
مخاطبتها ولبثت النضيرة هائمة في اودية الافكار فلم تنتبه لدخول احد عليها . واخيراً
دنت وصيفتها منها وكتبت بوقار يمازجه الحنان وقالت فدتك نفسي يا سيدي مالي
اراك مغمومة اليوم . فنظرت اليها بعين يكسرها الحزن ثم قالت بصوت تكاد تخفه
العبرة اني شقية يا هند . فقالت اواه يا حبيبي واني للشقاء ان يعترض سبيل صفوك
وهناك فاذا كان جزعك مسبباً عن حصار هذا الصعلوك ورجاله فلك من اقتدار
والدك العظيم ومن حوله من اسود الرجال ما يكفل بردهم على اعقابهم بالخية
والعار . قالت ليس هذا الذي يقلقني يا هند ولا انا في شيء مما تقولينه فدعيني وشأني
فحزني لا تنفع فيه تسلياتك ودأبي ليس له من دواء
فأطرت الحادمة الى الارض وجعلت تضرب في يديء الافكار وقد اخذها من

(٣٦)

العجب كل مأخذ ثم رفعت بصرها وقالت لقد كسرت قلبي يا سيدتي بما سمعته منك هذا اليوم فهل بلغ منك النعم واليأس هذا المبلغ وانت الفتاة التي تحسدك بنات عشيرتك على ما انت فيه من العز والمجد . فاستحلفك باسم والدك المحبوب ان تطلعي على سبب ما يخامرک من الكرب والاكتئاب فاما ان اسرني عنك او اشاطرك المصائب . وانت تعلمين صدق محبتي لك وحفاوتي بك وشدة اهتمامي بامرک منذ كنت طفلة حتى الآن أفلا استحق منك حسن الظن بي واثماني على شيء من اسرارک . قالت اجل يا هند اني لا ارتاب في صدق ولائك واهتمامك بامرني فساطلمك على ما انا فيه ولعلك ترين لي رأياً تكون فيه راحتي ان كان لمثلي ان يرجو راحة او عزاء . فقالت بل بنفسني افديك وسأبذل حتى دمي فيما يخفف عنك فلتقل سيدتي . قالت ألم تنظري جيش العدو خارج المدينة . قالت بلى لقد نظرتة . قالت وهل رأيت الملك . قالت نعم لقد رأيتة أيضاً . قالت وكيف وجدته . فقالت على جانب عظيم من الجمال . قالت ذلك وتراجعت قليلاً الى الوراء وحدقت في وجه سيدتها لتلتقط اول بادرة منها . ففاضت دموع النصيرة والقت بنفسها على صدر خادمها فطوقتها تلك بذراعيها واستولى السكوت ساعة لم يسمع فيها سوى تنهدات النصيرة والقُبَل التي كانت هند ترسمها على وجعتي سيدتها من وقت الى آخر واخيراً قالت لها والبكاء يقطع صوتها اني اهوى هذا الملك الجميل !!

* *

ودام الحصار مدة اشهر كثيرة لم يجد سابور فيها سبيلاً الى فتح المدينة اوحية في دخولها قتل صبره وكذلك النصيرة خانها الجلد وساورتها الهموم فذبل وردخدتها وبدت عليها دلائل السقم واصبحت لا ترى لها راحة ولا سلوة الا بالموت . وانها لكذلك اذ اقبلت هند يوماً مشرقة الوجه وقالت لها ابشري يا سيدتي فقد هان العسير . قالت وماذا جد يا ترى . قالت ان الملك يهواك الى حد الوله ويبدل كل مرتخص وغال في سبيل الحصول عليك . قالت اني اعلم ذلك ولي الف شاهد عليه من منظره وحركاته وذلك مما يزيدني حباً وشجناً . قالت وما الذي يحزنك بعد ان

الضيآء

(٢٨٧)

تحققت ميلة وثبت لك انه يهواك كما تهوينه . قالت ولكن ذلك لا ينسني انه عدونا وانه يستحيل التقرب بيني وبينه . قالت هو عدو ايك ولكنه حبيك . ثم هو لم يجن ذنباً يستحق لاجله ان تساركي اباك في معاداته له بل كان ابوك هو الجاني عليه البادئ بعداوته لغير سبب ولا داع فاذا كان سابور يقصد الانتقام منه فبحق يفعل . واعلمي بان لديه من العدد والعدد ما يضمن له الفوز والغلبة على ايك فان انت ساعدته على فتح المدينة تغمين المنزلة الاولى عنده وتكونين سيباً في فك الحصار وحقن الدماء ثم تستطيعين بعد ذلك ان تشفعي لديه في حياة كثيرين من ذويك واحباك بما لك عنده من الدالة والكرامة وفوق ذلك كله تكونين عنده ملكة معظمة بين قومه ويكون لك المقام الاول بين نساؤه

ففترت النصيرة لدى سماعها حديث خادمتها وقالت لا لا ان الموت اهون لدي من خيانة ابي وبلادي ولكن ما يناله سينالني فاقصري عن الحديث في هذا الشأن ولعلم سابور ان ابنة الضيزن لا تغتر بجداعه ومواعيده فليبحث عن الظفر في غير هذا السبيل

قالت اهذا جوابك له . . اذن فانا ذاهبة لأبلغ رسوله كلامك ولكن تبصري قليلاً يا سيدتي في الامر واعلمي انك بذلك تفقدين الحبيب والوالد والبلاد جميعاً اذ لا بد من الظفر لسابور يوماً وانتقامه من ايك بعد حصار طويل وقتله شر قتلة مع جميع المقرين منه ولا يكون نصيبك منه عند ذلك سوى الذل والامتهان وذهابك سبيّة عوض ان تكوني ملكة مكرمة

قالت ويلاه اني لا اقوى على ذلك فانجديني يا هند برأيك الصائب واني افعل بما تشيرين . قالت ليس عليك سوى الموافقة والاذعان وعلي التدبير فانا احتال على حراس الحصن وافتح الطريق لسابور ورجاله فيدخلون المدينة بسلام دون ان تهرق قطرة من الدماء . قالت لقد رضيت بذلك ولكن قل الشروع في الامر اشتراط على سابور ان انا سلمت اليه المدينة ان يجعلني الاولى بين زوجاته واكون المالكة دون سائر نساؤه وان يجيب طلبي بالعفو عن حياة كل شخص اطلبها منه . قالت

سَمًا وِطَاعَةً يَا سِيدِي فَسَاعُودِ الْيَكِ غَدًا بِالْجَوَابِ وَلِيْلَهْمَكِ اللهُ مَا فِيهِ خَيْرٌ ذَوِيكَ
وَقَرَبِ حَيْبِكَ

ولم تغرب شمس ذلك النهار حتى عادت هند تبشر سيدتها بقبول الملك
لاقتراحاتها ومهادته لها على انفاذ مطالبها . فسرت النصيرة عندئذٍ وباتت ليلتها
يتنازعها عملا السرور والجزع بين ما تبنيه لمستقبلها من دعائم الآمال وما تخشاهُ على
أبيها وبلادها من الدمار والوبال

*
*
*

اما هند فانها ذهبت واعدت آنية الشراب واطباق الفاكه وانتظرت حتى اذا
مضى جانبٌ من الليل اخذت معها بعض جواري القصر فحملن تلك الآنية
والاطباق الى المقاتلة الذين كانوا يبيتون بأعلى السور والحراس الذين كانوا يدورون
طول الليل على السور فوزعت عليهم الشراب والفاكهة وقالت هذا من عند مولاتي
النصيرة بعثنا به اليكم جزء سهركم ونصحكم لايها الملك وهي توصيكم بادمان السهر
وحراسة السور . فشكروا نعمة الاميرة واخذوا في تداول الكؤوس فلبست الخمر في
رؤوسهم ودبّ ديبها الى عيونهم فاذبلتها والى اجسادهم فصرعتها . ولما سكروا وناموا
كلهم وكان قد تناصف الليل ولم يبق احد في المدينة مستيقظاً نزلت والجواري
فتحنّ باب السور وكان سابور وجنوده على الباب فدخلوا وانتشروا في المدينة
انتشار الجراد قتلوا من وجدوا في سبلهم وسلبوا ما وصلت اليه ايديهم وكانت ساعة
يشيب لهولها الوليد ثم هجموا على الضيزن في قصره فاخذوه اسيراً في مئة رجلٍ من
اشراف قومه

وكانت النصيرة تسمع صياح الشعب وولولة النساء وبكاء الاطفال وفؤادها
يقطر دماً لما جلبته عليهم بجاتها من الشقاء حتى كاد يعنى عليها . واخيراً اطلت من
باب حجرتها فرأت حرس سابور يخفرها فعادت وجلست على متكأ وحاولت البكاء
تحفيماً للوعتها فلم تجد الى ذلك سبيلاً وكان كل شيء من انواع التعزية قد هجرها
حتى الدموع تجلّفت عنها فلبثت كالتمثال لا تقوى على الحركة وقد اوشكت ان تجنّ

وَيُقضى عليها اسىً وندماً

وفي تلك الساعة دخلت هند واخبرت سيدتها ان سابور الملك آتٍ اليها ثم دخل سابور على اثرها فنهضت النضيرة لاستقباله وكانت كآلة تتحرك ولا تعي لولا ان شعرت بخفقان شديد في قلبها فأطرقت ببصرها ولم تقوَ على النطق فشكر الملك حسن صنيعها معه وكرر على سماعها ما وعداها به سابقاً من ان تكون زوجته ومليكة بلاده.

فشكرته وخرجا معاً يحيط بهما الحرس بعد أن القت النضيرة آخر نظرة على ذلك المكان الذي ترعرعت فيه وذآقت من انواع المسرات والنعيم ما لم تحلم به فتآة قلبها . وما زال سائرآ بها حتى ادخلها فسطاطه وكان اذ ذاك قد انبلج وجه الصباح فلما استقر به المقام امر بالاسرى فأدخلوا عليه وهو على سرير من ذهب والنضيرة الى جانبه . وكان اول من دُعي به الضيزن فلما دخل عليه رأى بنته الى جانبه فقال لها سلط الله عليك ما سلطت علينا ويالك هل كنت مقصرآ في تربيتك . ثم قال لسابور لا تغتر بها فكأني بها قد فعلت بك كما فعلت بي . اما النضيرة فسترت وجهها يديها حتى لا ترى وجه ابيها وقد انصدع قلبها عند رؤيته في تلك الحال . ولما أخرج من بين يديه أرسل من ضرب عنقه ثم أمر بالذين أسروا معه فضربت اعناقهم وبعد ذلك غنم سابور ما في المدينة ثم امر بتقويض سورها وتخريب الحصن وانصرف عائدآ الى مملكته.

اما النضيرة فلبثت بعد ذلك ايامآ غائبة عن الوجود لما تناوبها من اعراض الحمى تم خفت عنها وطآة الاعراض وفتحت عينيها فرآت نفسها محمولة على هودج كبير كثير الزخرفة ومن حوها ثلاث نساء يعنين بها . ولما وصلن الى مدينة عين التمر وهي المدينة التي كان الملك يقصدها وقف الهودج بهن فأرسلت النساء النقاب على وجوههن وكذلك فعلن للنضيرة ثم رُفعت احدى ستائر الهودج وانزلت النضيرة فدخلت المدينة وهي مسندة باكف النساء وامامهن وحوهن الجيوش العديدة وكانت المدينة مزينة بابهى زينة وقد خرج كل من كان فيها من الناس لاستقبال

ملكهم المنتصر وسار الملك بينهم باسمًا وهو يحييهم فكانوا يقابلون تحيته بالهتاف والدعاء وقد طفحت وجوههم بالمسرات والهناء . وما زالوا كذلك الى ان انتهى الملك الى قصره فتريع في سرير مملكته واذن لرجاله في الدخول عليه فجعلوا يتوافدون افواجاً مهئين ومسلمين

اما النضيرة فلبثت مدة اليقة السقام والاحزان تندب اهله وبلادها وتستغفر ربها عما جرته عليهم من البلاء وما ارتكبه فيهم من الاثم الفظيع وما برحت تتمثل لديها آخر نظرة من والدها وهو يعنفها على غدرها وخيانتها وقد زودها تلك الدعوة الرهيبه ثم تتمثل لها حالته تحت يد الجلاد وتدفق دمه على الارض وكأن كل قطرة منه ترشها بالعنان فيغور قلبها حزناً وندماً وتسترسل الى البكاء والتعجب حتى تسقط خائرة القوى فاقدة الرشد فلا تصحو الا وتشعر بوخز الضمير الذي كان ينهش قلبها ويستنزف دمعها

ولبثت على تلك الحال من الحزن والغم مدة تزيد عن الشهر وهي لا تقبل عزاء ولا ترغب في تسليه . غير ان الملك ما فتى يلاطفها ويبدل جهده في مؤانستها وتفرج كرتها الى ان خف بما بها من لوعة وحزن ومالت الى العزاء والسوان وقد آنتت من الملك حنوًا وتوددًا انسيها ما مر بها من الاحزان . فافتقر ثغرها وعاد الى عيها زهوه واشراقه فانجبت عنه ظلمات العبوس وبدا مكانها لطف الابتسام واخذت النضيرة منذ ذلك الحين تناجي نفسها بلذة الاوهام وتمني ذاتها بجميل الاحلام وفي تلك المدة كان الملك قد استراح من وعثاء السفر وعاد الى سابق اعماله فنظم مملكته ورتب شؤون رعيته ورفع مراتب المستحقين من رجاله واجزل الهبات لسراة قومه ولما راقق الاحوال واستتببت الاعمال عين يوماً لاقتارنه بالنضيرة وما شاع الخبر حتى تسابق اهل القصر لاقامة الزين الباهرة والحفلات الشائقة وشارك اهل المدينة ملكهم في ارتشاف كووس الهناء بضعة ايام ثم عُقد للملك على النضيرة في حفلة حافلة باشراف المدينة وكبارها واتفق بعد ذلك ان النضيرة اُرقت في احدى الليالي فباتت تتقلب على فراشها

الضياء

(٢٩١)

وهي لا تذوق غمضاً فقال لها الملك ما لي اراكِ قلقَةً لا تامين . قالت ان جنبي يتجافى عن فراشك . قال ولم فوالله ما نامت الملوكة على ألين منه وأوطأ وان حشوه لزغب النعام . ثم التمس ما يؤذيها فاذا طاقة آس قد سقطت داخل ثوبها من الازهار التي كانت تزين بها شعرها فتناولها واذا هي قد أدمت جسدها فدهش الملك لما رأى من اين جسدها وبضاضة جلدها وقال لها ويحك ما كان فراشك عندايك . قالت كان مثل هذا من الحرير الناعم وكان لباسي في الشتاء الخز والوشي المنسوج بالذهب وفي الصيف الكتان المفصص بالجواهر . قال وما كان يطعمك ابوك . قالت المنخ بالسكر الطبرزد ولحوم الدرّاج والشفانين والصلاصل وكان شرابي ماء الزمان الامليسي . فلما سمع سابور ذلك خافها على نفسه وقال هذه لم تنصح لايها مع احسانه هذا اليها وحسن تربيتها لها وبلوغه من برّها ما وصفت فكيف آمنها ان تفعل بي ما فعلت بابيها ان جفوتها يوماً وبات تلك الليلة وقد عقد عزمه على قتلها

ولما كان الصباح دعا سابور رانضاً من رواضه وامره ان يختار اقوى فرس له وان يشد ذوابتها بذنب الفرس تم يطرده وهي معلقة به حتى تقطع . فلما علمت ما يفعل بها قالت لعمرى لقد استجاب الله دعوة ابي في واني لمستحقة هذا لما كان مني الى ابي العظيم حقه علي وهذا جزاء غدري به وخيائتي له

ولم يلبث الامر ان شاع في المدينة فاجتمع الى ساحتها خلق لا يحصى ليظروا ذلك المشهد وهم بين آسفٍ لحالها وتامت بما نالها وجلس الملك على شرفة قصره مطالاً على تلك الساحة ولم يمض الا قليل حتى جي بالنضيرة موثقة اليدين والى جانبها اثنان من الجند . وكانت تسير بينهما بخطوات ثابتة دون ان يبدو عليها اقل ارتعاش او جزع بل كانت جملة هيئتها تدل على ان بها ظمّاً الى تجرّع تلك الكأس ورغبة في التخلص من العذاب الداخلي وما كانت تقاسيه من آلام تويخ الضمير منذ استسلمت لهواها وجرّت على بلادها تلك الويلات ولاسيما في تلك الساعة التي تعظم فيها ياسها اذ رأت ان الذي جنت في حبه واقترفت ذلك الاثم العظيم في سبيل ارضائه بل الذي رضيت ان تفقد كل شيء لاجل الحصول عليه هو الذي يسلمها

الى الموت فلم يبقَ لها بعد ذلك ما ترجوه من الحياة بل وجدت انه لا راحة لها الا بالموت ولا مكان تخفي فيه وجهها الا القبر

ولما توسط بها الجنديان تلك الساحة الرهيبة اخذا يحلان شعرها الناعم بايديها التي خشنا سفك الدماء فلم تشعر بتعومته ولم تتأثر لطفه واقبل الرائض بفرسه وهو يثب ويرفس ويضرب الارض بجوافره فوقف الى جانبها ينتظر امر الملك

وحصل في تلك الفترة سكوت عميق وكانت العيون جميعها محدقة في النضيرة . اما هي فضمت اصابع يديها الموثقتين ورفعت بصرها الى السماء وتحركت شفاتها بصلاة حارة وكأن تلك الصلاة القصيرة التي لفظتها المسكينة كانت رسول التعزية الى قلبها الجريح اذ لم تلبث ان ابتمت ابتسامه ملكية وطفح وجهها بشراً كأنها هي ترى اباه من اعالي السماء ينظر اليها باشفاق مكتفياً بما نالها من العقاب صالحاً عما جتته من الائم وكان قلب الملك قد استحال حينئذ الى اقصى من الحديد فلم تجد الشفقة اليه سبيلاً ولا امكن ذلك الجمال الذي بدا حينئذ على ابداع ما يتصوره عقل والطف ما يجري في وصفه قلم ان يشفع لديه في تلك الحجة المسكينة أو يخفف لها ذنباً هو حملها عليه بخداعه وجرها اليه بتلقه وحسن وعوده فكأنما الديان قد اعماه وشاء ان يجري العدل في مجراه فانطقه بكامة الحكم الاخيرة وفي اسرع من لمح البصر تناول الرائض شعرها الطويل وربطه الى ذنب الفرس . وحينئذ اضطربت النضيرة وظهر عليها ارتعاش ذهب بابتسامها واصبح لونها كالاموات ففتحت عينيها وارسلت الى الملك نظرة كان تأثيرها في فؤاده اشد من وقع السهام . وللحال خلي سبيل الفرس اما الملك فشعر ان قلبه قد سحق بتلك النظرة وندم على فظاعته وغلاظة كبده فاسرع ورفع يديه مشيراً الى الرائض أن يتوقف ولكن كان قد سبق السيف العدل واصبح ذلك الهيكل البديع التكوين قطعاً مشورة على الحضيض

وصاب سابور بعد ذلك حزناً شديداً وندم على ما كان منه ولكن بعد الفوات وبلي بغم مفرط لم يزل مصاحباً له الى المات . انتهى